«التقدمي» عارياً !

رياض بيدس

استطاعت الناقدة العبرية نوريت غيرتس ان تنفذ الى ادق خصائص عالم عاموس عوز في كتابها «عاموس عوز: مونوغرافيا». فكتبت حول كتابه الاول «بلاد بنات آوى» (مجموعة قصصية كتبت في سنوات ١٩٦٢ ـ ١٩٦٥، واعاد الكاتب تصليحها ثانية سنة ١٩٧٥) ما يلي: «في كل قصص ' بلاد بنات آوى ' يدور صراع بين الانسان المتحضّر «عضو الكيبوتس عادة» الذي يعيش في ظل ايديولوجية صهيونية وبين الطبيعة التي تهدّد بالخطر مع ممثليها ـ بنات آوى، العرب والجبال. وهذا ليس صراعاً بسيطاً بين مجالين متعارضين، وانما صراع بين عالمين، يحمل كل منهما التناقضان ذاتهما ـ تعتمل في داخل الانسان المتحضّر غريزة متوحشة، وعالم الطبيعة ليس عالماً خطراً فقط، وانما هو عالم هام وحقيقي وجذّاب ايضاً. وخلال القصة يتأرجح البطل، الذي هو نفسه يتكوّن من تلك الاقطاب، بين علاقات عنيفة مع قوى الطبيعة وبين الهروب للعودة الى حياة التحضّر الكئيبة، حتى تكون ذروة او نهاية القصة حين تنتهي العلاقة المدّمرة بكارثة او تنازل.

«لا مكان لكل ابطال ' بلاد بنات آوى ' في بلاد بنات آوى، أو في بلاد التحضّر. انهم لا يستطيعون العيش في عالم مرّبع من القوانين والكليشهات، لكنهم لا يستطيعون ان يخترقوا هذه القوانين والاطر، لأن الاختراق يستحضر الدمار والموت معه. ولا يستطيعون الاختيار بين هاتين الامكانيتين ـ موت في الحياة، او حياة في الموت ـ لا بهذه ولا بتلك»[1].

عالم عاموس عوز

وحسب هذا الاقتباس الهام جداً نستطيع ان نسترشد، كلما اردنا الرجوع الى قصص مجموعة «بلاد بنات آوى»؛ وحتى انه يناسب تفكير عوز في اعماله اللاحقة فيما بعد. ولهذا سنطل على عالم عوز الاول من خلال قصتين من المجموعة تمثلان حقيقة الصراع الذي قدّمته غيرتس، من جهة، وتكونان بمثابة الدالّة المنطقية على تطور عوز اللاحق ولوضوح غموضه ـ الرمزي والاستعاري الكنائي ـ ولتناوله القضايا العينية الواضحة، من جهة أخرى، كما في روايته الاخيرة «علبة سوداء»؛ وذلك بدلاً من التعامل الرومانسي مع البدوي، الذي هو صورة أولى للعربي؛ وما اكثر ما يلجأ عوز الى الانماط الاولية لكي يستعين بها على رؤية الصراع من وجهة نظر غريبة ومقولبة جداً، مما يسيء للحقيقة والعمل الادبي ذاته.

تدور احداث القصة الاولى «دير الصامتين» حول كتيبة تقوم بعملية انتقامية لاحتلال قرية عربية هي دير الناشف، والصراع القائم بين الكيبوتس والمناطق الاخرى هي الارضية الغنية التي يستغلها عوز لبناء قصة. وطبعاً، فان الدخول الى تفاصيل عالم عوز لا يهمنا كثيراً. فما يهمنا اكثر